

٦- يُرَاعَى تَتَفِيدُ الْقِصَاصِ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعاً، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ دَرَجَاتُ الْمُعْتَدِي وَالْمُعْتَدَى عَلَيْهِ. مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ يَشْكُو إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ مَشْغُولٌ، فَقَالَ لَهُ: " أَتَتْرَكُونَ الْخَلِيفَةَ حِينَ يَكُونُ فَارِغاً، حَتَّى إِذَا شُغِلَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ أَتَيْتُمُوهُ؟ وَضَرَبَهُ بِالْدَّرَّةِ (العَصَا). فَرَجَعَ الرَّجُلُ حَزِينًا. فَتَذَكَّرَ عُمَرُ أَنَّهُ ظَلَمَهُ، فَدَعَا بِهِ، وَأَعْطَاهُ الدَّرَّةَ، وَقَالَ لَهُ: اضْرِبْنِي كَمَا ضَرَبْتُكَ. فَأَبَى الرَّجُلُ وَقَالَ: تَرَكْتُ حَقِّي لِلَّهِ وَلَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: إِمَّا أَنْ تَتْرَكَهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَإِمَّا أَنْ تَأْخُذَ حَقَّكَ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: تَرَكْتُهُ لِلَّهِ. وَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ كُنْتَ وَضِيعاً فَرَفَعَكَ اللَّهُ، وَضَالاً فَهَدَاكَ اللَّهُ، وَضَعِيفاً فَأَعَزَّكَ اللَّهُ وَجَعَلَكَ خَلِيفَةً، فَأَتَى رَجُلٌ يَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ فَظَلَمْتَهُ، مَا تَقُولُ لِرَبِّكَ غَدًا إِذَا أَتَيْتَهُ؟ وَظَلَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ حَتَّى أَشْفَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ.

٧- وَمِنْ هَذَا الْمِثَالِ، تَرَى كَيْفَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا يُطَبِّقُونَ الْمُسَاوَةَ: وَهَلْ هُنَاكَ أَرْوَعُ مِنْ أَنْ يَتَأَلَّمَ عُمَرُ لَشَيْءٍ يَسِيرٍ فَعَلَهُ، فَيَسْتَرْضِي الرَّجُلَ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْقِصَاصِ مِنْهُ، ثُمَّ يُؤَنِّبُ نَفْسَهُ هَذَا التَّأْنِيبَ حَشِيَّةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى!

٨- وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَمَا وَلِيَ الْخِلَافَةَ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ".

٩- تَحْقِيقُ الْمُسَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ عِنْدَ التَّقَاضِي، عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ، وَلَا بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَغَيْرِهِ، وَنَذَكَّرُ لِدَلِيلِكَ مِثَالَيْنِ:

١٠- أَوَّلُهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ يَشْكُو عَلَيْهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ عُمَرُ: قُمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ فَاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ. فَقَامَ مُتَأَلِّماً، وَجَلَسَ مَعَ خَصْمِهِ. وَتَكَلَّمَا، ثُمَّ حَكَمَ بَيْنَهُمَا عُمَرُ. وَخَرَجَ الرَّجُلُ فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ، وَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُكَ حِينَ أَمَرْتُكَ بِالْجُلُوسِ مَعَ خَصْمِكَ؟ هَلْ كَرِهْتَ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْ كُنَيْتَنِي بِحَضْرَةِ خَصْمِي، وَالتَّكْنِيَةُ ضَرْبٌ مِنَ التَّكْرِيمِ. هَلَّا قُلْتُ: قُمْ يَا عَلِيُّ فَاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ؟ فَقَبَّلَهُ عُمَرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

١١- ثَانِيهِمَا: مَا فَعَلَهُ عُمَرُ مِنَ الْقِصَاصِ مِنْ وَلَدِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ أَبُوهُ أَمِيرَ مِصْرَ - لِلْمِصْرِيِّ الَّذِي شَكَاهُ، ثُمَّ تَأْنِيْبُهُ لِعَمْرٍو إِذْ اعْتَدَى ابْنُهُ، مُعْتَمِداً عَلَى سُلْطَانِ أَبِيهِ بِكَلِمَتِهِ الْمَشْهُورَةِ: «يَا عَمْرُو مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً؟»

هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ يَدْعُو إِلَى الْمُسَاوَةِ وَالْعَدَالَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ يُطَبِّقُونَ مَبَادِئَهُ، مُخْلِصِينَ، فَنِعَمَ بِهَا أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعاً، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ وَأَوْطَانُهُمْ.



الوَحدةُ العَاشِرةُ  
الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ





## ما قَبْلَ الْقِرَاءَةِ:

- ١- عِنْدَمَا تَقْرَأُ عُنْوَانًا مِثْلَ «الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ». مَا أَوَّلُ سُؤَالٍ يَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِكَ؟
- ٢- مَا الْحَيَوَانَاتُ الْمَقْصُودَةُ هُنَا؟
- ٣- مَاذَا تَتَوَقَّعُ أَنْ تَجِدَ فِي هَذَا النَّصِّ؟
- ٤- هَلْ تَعْرِفُ قِصَّةً أَوْ حَدِيثًا عَنِ الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ فِي الْإِسْلَامِ؟ اذْكُرْهُ.
- ٥- مَا رَأْيُكَ فِي أُمَّةٍ تُبَالِغُ فِي الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ، وَلَا تَهْتَمُّ بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ؟
- ٦- مَا رَأْيُكَ فِي: أ- مُصَارَعَةِ الشَّيْرَانِ؟ ب- مُصَارَعَةِ الدُّيُوكِ؟ ج- مُصَارَعَةِ الْجِمَالِ؟ د- اتِّخَاذِ الْحَيَوَانِ هَدَفًا لِلْعَبِّ؟

## الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ

١- إِنَّ عَالَمَ الْحَيَوَانِ كَعَالَمِ الْإِنْسَانِ، لَهُ خَصَائِصُهُ وَطَبَائِعُهُ وَشُعُورُهُ الْمِشَابِهُةُ- فِي أَحْوَالٍ كَثِيرَةٍ- لِلْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾. كَمَا أَنَّ رَحْمَةَ الْإِنْسَانِ لِلْحَيَوَانِ قَدْ تُدْخِلُ صَاحِبَهَا الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَيْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ (يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ) فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي؛ فَنَزَلَ الْبَيْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغُفِرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ: نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ". كَمَا أَنَّ الْقَسْوَةَ عَلَى الْحَيَوَانِ تُدْخِلُ النَّارَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: "دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ".

٢- وَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ - تَعَالَى - كَثِيرًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ لِحِدْمَةِ الْإِنْسَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَنِيِّ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَجَاءَ الْأَمْرُ بِالرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ، وَالنَّهْيُ عَنِ إِزْهَاقِهِ؛ وَلِذَا فَقَدْ نَهَى الْإِنْسَانُ عَنِ الْبَقَاءِ طَوِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْحَيَوَانِ وَهُوَ وَاقِفٌ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: "إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ"، وَنَهَى عَنِ تَحْمِيلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَطِيعُ. وَوَضَعَتِ الشَّرِيعَةُ حُقُوقًا لِلْحَيَوَانِ، فِي حَقِّ مَنْ اسْتَأْجَرَهُ لِلْحَمْلِ أَوْ لِلرُّكُوبِ فَحَمَلَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَطِيعُ، فَأَلْزَمَهُ بِضَمَانِ نَفْسِهِ لِمَالِكِهِ. وَلَا تُسَاقُ الْحَيَوَانَاتُ سَوْقًا شَدِيدًا تَحْتَ الْأَحْمَالِ، وَلَا تُضْرَبُ ضَرْبًا قَوِيًّا، وَلَا تَوْقَفُ فِي السَّاحَاتِ الْعَامَّةِ وَعَلَى ظُهُورِهَا أَحْمَالُهَا.

٣- وَتَنَهَى الشَّرِيعَةُ عَنْ إِهْوَاقِ الْحَيَوَانِ بِالْعَمَلِ فَوْقَ مَا يَسْتَطِيعُ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِطًا نَحْلَ. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ. فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِئُهُ «(تَتَعَبُهُ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ)». كَمَا تَحْرُمُ الشَّرِيعَةُ أَنْ يُلْعَبَ بِالْحَيَوَانِ. قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: " مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: " حَقُّهَا أَنْ يَذْبَحَهَا فَيَأْكُلَهَا، وَلَا يَقْطَعَ رَأْسَهَا فَيَرْمِي بِهِ، وَتَحْرُمُ اتِّخَاذُ هَدَفًا لِتَعْلِيمِ الْإِصَابَةِ؛ فَقَدْ مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفَتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا " (أَيَّ هَدَفًا). وَتَنَهَى الشَّرِيعَةُ عَنْ وَسْمِ الْحَيَوَانَاتِ فِي وُجُوهِهَا بِالْكَيِّ بِالنَّارِ، فَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وَسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: "لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ ".

٤- أَمَّا إِذَا كَانَ الْحَيَوَانُ مِمَّا يُؤْكَلُ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ بِهِ أَنْ تُحَدَّ السَّكِينُ، وَيُسْقَى الْمَاءُ، وَيُرَاحَ بَعْدَ الذَّبْحِ قَبْلَ السَّلْخِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُجَدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرْجَ ذَبِيعَتُهُ " . بَلْ إِنَّ إِضْجَاعَ الْحَيَوَانِ لِلذَّبْحِ قَبْلَ إِحْدَادِ السَّكِينِ قَسْوَةٌ لَا تَجُوزُ، فَقَدْ أَضْجَعَ رَجُلٌ شَاةً لِلذَّبْحِ وَهُوَ يُجَدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: " أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ؟ هَلَا أَحَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا " . وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْحَانٌ فَأَخَذْنَا فَرْحَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا. وَرَأَى قَرْيَةً نَمَلٌ قَدْ حَرَّقَهَا، فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ " .

٥- وَأَمَّا الْمَوْسَسَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ، فَقَدْ كَانَ لِلْحَيَوَانِ مِنْهَا نَصِيبٌ كَبِيرٌ. وَحَسَبُنَا أَنْ نَجِدَ فِي ثَبَتِ الْأَوْقَافِ الْقَدِيمَةِ أَوْقَافًا خَاصَّةً لِإِعْلَاجِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَرِيضَةِ، وَأَوْقَافًا لِرْعَى الْحَيَوَانَاتِ الْعَاجِزَةِ. وَلَعَلَّ أَصْدَقَ مِثَالٍ عَلَى الرَّفَقِ بِالْحَيَوَانِ فِي ظِلِّ حَضَارَتِنَا، أَنْ نَرَى صَحَابِيًّا جَلِيلًا كَأَبِي الدَّرْدَاءِ يَكُونُ لَهُ بَعِيرٌ فَيَقُولُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ: " يَا أَيُّهَا الْبَعِيرُ لَا تُخَاصِمْنِي إِلَى رَبِّكَ؛ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أُحْمِلُكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَأَنْ صَحَابِيًّا كَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ كَانَ يُقَدِّمُ الْخُبْزَ لِلنَّمْلِ وَيَقُولُ: " إِنَّهُمْ جَارَاتُ لَنَا وَلَهُنَّ عَلَيْنَا حَقٌّ " . وَأَنَّ إِمَامًا كَبِيرًا كَأَبِي إِسْحَقَ الشَّيرَازِيَّ كَانَ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَمَرَّ بِهِ كَلْبٌ فَزَجَرَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ فَنَهَاهُ الشَّيْخُ وَقَالَ لَهُ: " أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ " .